

اجتهادات مُترجم << رأس المال >>

اشتهر أستاذ الاجتماع والمثقف العراقي الكبير د. فالح عبد الجبار، الذي رحل عن عالمنا قبل أيام، باجتهاداته في مفهوم الدولة المدنية، ومحاولاته لتأصيل هذا المفهوم الذي تعرض لابتذال واسع النطاق. ابتذله بعض من وجدوا فيه تحايلاً على مفهوم العلمانية بعد التشويه الشديد الذي لحق به، بدلاً من بذل الجهد لإزالة الغبار الذي تراكم عليه. كما ابتذله بعض من يُطلق عليهم إسلاميون حين استخدموه لتمويه هدفهم الحقيقي في تديين الدولة.

قدم عبد الجبار أفكاراً مهمة في مناقشة مفهوم الدولة المدنية، وتحريره من الالتباسات. ولكن هذا ليس إلا واحداً من إسهاماته الكثيرة، فضلاً عن أنه ليس أكثرها أهمية. قدم إسهامات أقوى وأعمق في الفكر والثقافة والمجتمع. وأطروحاته في تحليل ظاهرة الإرهاب مثال على ذلك، حيث يعتمد على منهج متعدد الأبعاد اجتماعي-ثقافي-سياسي يتيح فهماً أعمق للعلاقة بين التعصب والتطرف والعنف.

وكتاباتاته في نقد اليسار العربي، الذي يُعد أحد أفضل مثقفيه، يمكن أن تكون دليلاً لتصحيح مسار هذا التيار الذي يوشك أن يصبح أثراً بعد عين. ويندر من يعرف أن عبد الجبار قدم أهم ترجمة عربية على الإطلاق لكتاب كارل ماركس التأسيسي «رأس المال»، وإن هذه الترجمة من أهم إسهاماته على الإطلاق لأنه أتاح للقراء العرب أكثر كتب ماركس صعوبة، وأكبرها حجماً.

وربما يبدو مثيراً للاستغراب أن نعتبر ترجمة عبد الجبار لهذا الكتاب من أهم أعماله، رغم كثرة كتاباته. فالمعتاد أن تكون الترجمة أقل أهمية من الكتابة. ولكن فضلاً عن أن هذه نظرة تبخس المترجم حقه وتقلل دوره في التواصل بين الثقافات المختلفة، فقد أنجز عبد الجبار الترجمة العربية الوحيدة لكتاب «رأس المال» عن اللغة الأصلية التي كُتب بها، أي الألمانية، لأن كل الترجمات العربية الأخرى كانت من نسخ مُترجمة إلى الفرنسية أو الإنجليزية. ولذلك يبدو الفرق كبيراً بين ترجمة عبد الجبار الصادرة عن دار الفارابي، والترجمات الأخرى التي أنجز أستاذ الاقتصاد المصري الراحل د. راشد البراوي واحدة منها في وقت مبكر، إذ صدرت عن مكتبة النهضة بالقاهرة عام 1974.

ولذلك لا نبالغ حين نعتبر أن ترجمة عبد الجبار لهذا الكتاب أهم إنجازاته، أو على الأقل أحد أكثرها أهمية.